الباب الرابع

الروح من نفختها إلى مستقرها

obeikandl.com

obeikandl.com

ولكن ما مراتب الروح ؟
وكيف تتعلق بالبدن ؟

أجاب حجة الإسلام الغزالى عن هذا السؤال قديماً فقال :
إن الروح البشرية تنقسم إلى خمس مراتب :

فالمرتبة الأولى :

هى مرتبة الروح الحساس وهو الذى يتلقى ما تورده الحواس الخمس وكأنه أصل الروح الحيوانى وأوله .. إذ به يصير الحيوان كائناً حيًّا وهذا الروح موجود عند الصبى الرضيع .

والمرتبة الثانية :

هى مرتبة الروح الخيالى وهو الذى يستثبت ما أوردته الحواس ويخزنه لديه ويحفظه عنده ليعرض على الروح العقلى الذى يوجد فوقه عند الحاجة إلى ذلك وهذا الروح الخيالى لا يوجد عند الصبى الرضيع فى أول نشأته ، ولذلك نرى الرضيع يولع بالشىء ليأخذه فإذا غاب عنه نسيه ولم تنازعه نفسه إليه حتى يكبر قليلا فيصير بحيث إذا غاب عنه الشىء بكى وطلبه وذلك لبقاء صورته محفوظة فى خياله ، وهذا قد يوجد عند بعض الحيوانات دون بعض فهو لا يوجد فى الفراش المتهافت على النار ، ولذلك يقذف بنفسه على النار لشغفه بالضياء فيظن

أن السراج كوة مفتوحة إلى ضوء النهار ، فيلقى نفسه عليه فيتأذى به ولكنه يعاود ذلك مرة بعد أخرى ، ولو كان عنده ذلك الروح الحافظ للصور لما عاد ، ولكن الكلب إذا ضربه شخص بالعصا ورأى العصا مرة أخرى حاذرها وهرب منها .

والمرتبة الثالثة :

مرتبة الروح العقلى الذى يدرك به الإنسان المعانى الخارجة عن الحس والخيال وهو الجوهر البشرى الخاص ، ولا يوجد عند البهائم ولا عند الأطفال وتتسع مدركات هذا الروح ومعارفه الكلية إذا ترجح نور العقل على نور العين .

والمرتبة الرابعة :

هى مرتبة الروح الفكرى وهو الذى يحصل العلوم والمعارف العقلية المحض ، فيوجد بينها تأليفات وازدواجات ، ويستنبط منها معارف شريفة ويستنتج منها – معقولات جديدة ويظل يتزايد فى ذلك إلى ما شاء الله .

والمرتبة الخامسة :

وهى مرتبة الروح القدس النبوى وهو الروح الذى يختص به الأنبياء وبعض الأولياء ، وفيه تتجلى لوائح الغيب وأحكام الآخرة وجملة من معارف ملكوت السموات والأرض بل من المعارف الربانية التى يقصر عنها الروح العقلى والروح الفكرى وإليه الإشارة بقول الله تعالى : (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم . صراط الله الذى له ما فى السموات

ومافى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور) .

وفى كتاب الروح لابن القيم[1] أن الروح خمسة أنواع من التعلق بالبدن متغايرة الأحكام .

١ – تعلق الروح بالبدن فى بطن الأم جنينا .

٢ – تعلق الروح بالبدن بعد خروجه إلى وجه الأرض .

٣ – تعلق الروح بالبدن فى حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه .

٤ – تعلق الروح بالبدن فى البرزخ فإنها وإن فارقته وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقاً كليا بحيث لا يبقى لها التفات إليه البتة .

٥ – تعلق الروح بالبدن يوم البعث وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتاً ولا نوماً ولا فساداً وأما قوله تعالى : (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) . فإمساكه سبحانه التى قضى عليها الموت لا ينافى ردها إلى جسدها الميت فى وقت ما ردًّا عارضاً لا يوجب له الحياة المعهودة فى الدنيا .

وإذا كان النائم روحه فى جسده وهو حى وحياته حياة المستيقظ فإن النوم شقيق الموت وهكذا الميت إذا أعيدت روحه إلى جسده كانت حالا متوسطة بين الحى وبين الميت الذى لم ترد روحه إلى بدنه كحال النائم المتوسطة بين الحى والميت ..

وأما ما يتعلق بذلك من إخبار النبى ﷺ عن رؤية الأنبياء ليلة أسرى به

---

(١) تجدر بنا الإشارة هنا إلى أن كتاب الروح لابن قيم الجوزية كان من أهم المراجع التى حصلت الاستفادة بها وبخاصة فى الحديث عن الروح والنفس .

فقد زعم بعض أهل الحديث أن الذى رآه أشباحهم وأرواحهم قال : فإنهم أحياء عند ربهم .. وقد رأى إبراهيم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور ورأى موسى قائماً فى قبره يصلى وقد نعت الأنبياء لما رآهم نعت الأشباح فرأى موسى أدماً ضرباً طوالا كأنه من رجال شنوءة ورأى عيسى يقطر رأسه كأنما أخرج من ديماس ورأى إبراهيم فشبهه بنفسه .

ونازعهم فى ذلك آخرون فقالوا هذه الرؤية إنما هى لأرواحهم دون أجسادهم ، والأجساد فى الأرض قطعا إنما تبعث يوم بعث الأجساد ولم تبعث قبل ذلك ، إذ لو بعثت قبل ذلك لكانت قد انشقت عنها الأرض قبل يوم القيامة وكانت تذوق الموت عند نفخة الصور وهذه موتة ثالثة ، وهذا باطل قطعاً ولو كانت قد بعثت الأجساد من القبور لم يعدهم الله إليها بل كانت فى الجنة ، وقد صح عن النبى ﷺ أن الله حرم الجنة على الأنبياء حتى يدخلها هو ﷺ وهو أول من يستفتح باب الجنة، وهو أول من تنشق عنه الأرض على الإطلاق، لم تنشق عن أحد قبله..

ومعلوم بالضرورة أن جسده ، ﷺ ، فى الأرض طرى مطرا وقد سأله الصحابة كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ فقال : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء .

ولو لم يكن جسده ﷺ ، فى ضريحه لما أجاب بهذا الجواب .

وقد صح عنه ﷺ ، أن الله وكل بقبره ملائكة يبلغونه عن أمته السلام .

وصح عنه ، ﷺ ، أنه خرج بين أبى بكر وعمر وقال هكذا نبعث ..

هذا مع القطع بأن روحه الكريمة فى الرفيق الأعلى فى أعلى عليين ومعها أرواح الأنبياء ، وقد صح عنه أنه رأى موسى قائما يصلى فى قبره ليلة الإسراء ورآه فى السماء السادسة أو السابعة ، فالروح كانت هناك ولها اتصال بالبدن فى

القبر وإشراف عليه وتعلق به ، بحيث يصلى فى قبره ويرد سلام من سلم عليه وهى فى الرفيق الأعلى .

ولا تنافى بين الأمرين فإن شأن الروح غير شأن البدن ، وأنت تجد الروحين المتماثلتين المتناسبتين فى غاية التجاور والقرب وإن كان بينهما بعد المشرقين وتجد الروحين المتنافرتين المتباغضتين بينهما غاية البعد وإن كان جسداهما متجاورين متلاصقين . وقد صح أن النبى ﷺ .

قال : « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » .

وليس نزول الروح وصعودها وقربها وبعدها من جنس ما للبدن فإنها تصعد إلى ما فوق السموات ثم تهبط إلى الأرض ما بين قبضها ووضع الميت فى قبره ، وهو زمن قصير لا يصعد البدن وينزل فى مثله ، وكذلك صعودها وعودها إلى البدن فى النوم واليقظة ، وقد مثلها بعضهم بالشمس وشعاعها ، فإنها فى السماء وشعاعها فى الأرض . قال شيخنا : وليس هذا مثلا مطابقاً فإن الشمس ذاتها لا تنزل من السماء ، والشعاع الذى على الأرض ليس هو الشمس ولا صفتها بل هو عرض حصل بسبب الشمس والجرم المقابل لها والروح نفسها تصعد وتنزل .. وأما قول الصحابة للنبى ، ﷺ ، فى قتلى بدر ، كيف تخاطب أقواماً قد جيفوا مع إخباره ، ﷺ ، بسماعهم كلامه فلا ينافى ذلك ردّ أرواحهم إلى أجسادهم فى ذلك الوقت ردًّا يسمعون به خطابه والأجساد قد جيفت ، فالخطاب للأرواح المتعلقة بتلك الأجساد التى قد فسدت .

هل الروح قديمة أو محدثة ؟
وما الدلائل على خلق الروح ؟

وإذا كانت محدثة مخلوقة وهى من أمر الله فكيف يكون أمر الله محدثاً مخلوقاً ، وقد أخبر الله سبحانه أنه نفخ فى آدم من روحه فهذه الإضافة إليه هل تدل على أنها قديمة أو لا ؟ وما حقيقة هذه الإضافة ؟ فقد أخبر عن آدم أنه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه ، فأضاف اليد والروح إليه إضافة واحدة ، فهذه مسألة زلّ فيها عالم وضل فيها طوائف من بنى آدم ، وهدى الله أتباع رسوله فيها للحق المبين والصواب المستبين ، فأجمعت الرسل ، صلوات الله وسلامه عليهم ، على أنها محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة . وهذا معلوم بالاضطرار من دينهم أن العالم حادث ، وأن معاد الأبدان واقع ، وأن الله وحده الخالق وكل ما سواه مخلوق له ، وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم وهم القرون الفضيلة على ذلك من غير اختلاف بينهم فى حدوثها وأنها مخلوقة ، حتى نبغت نابغة ممن قصر فهمه فى الكتاب والسنة فزعم أنها قديمة غير مخلوقة واحتج بأنها من أمر الله وأمره غير مخلوق ، وبأن الله تعالى أضافها إليه كما أضاف إليه علمه وكتابه وقدرته وسمعه وبصره ويده .. وتوقف آخرون وقالوا : لا نقول مخلوقة ولا غير مخلوقة .

وسئل عن ذلك حافظ أصبهان أبو عبد الله بن منده فقال : أما بعد فإن سائلا سألنى عن الروح التى جعلها الله سبحانه قوام نفس الخلق وأبدانهم وذكر أقواماً تكلموا فى الروح وزعموا أنها غير مخلوقة ، وخص بعضهم منها أرواح

القدس وأنها من ذات الله قال : وأنا أذكر اختلاف أقاويل متقدميهم وأبين ما يخالف أقاويلهم من الكتاب والأثر وأقاويل الصحابة والتابعين وأهل العلم .. وأذكر بعد ذلك وجوه الروح من الكتاب والأثر وأوضح خطأ المتكلم فى الروح بغير علم وأن كلامهم يوافق قول جهم وأصحابه ، فنقول وبالله التوفيق إن الناس اختلفوا فى معرفة الأرواح ومحلها من النفس .

فقال بعضهم الأرواح كلها مخلوقة وهذا مذهب أهل الجماعة والأثر واحتجوا بقول النبى ، ﷺ ، « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف» والجنود المجندة لاتكون إلا مخلوقة .

وقال بعضهم : الأرواح من أمر الله أخفى الله حقيقتها وعلمها عن الخلق واحتجوا بقول الله : (قل الروح من أمر ربى) .

وقال بعضهم : الأرواح نور من نور الله وحياة من حياته واحتجوا بقول النبى ، ﷺ : إن الله خلق خلقه فى ظلمة وألقى عليهم من نوره . ثم ذكر الخلاف فى الأرواح هل تموت أو لا ، وهل تعذب مع الأجساد فى البرزخ وفى مستقرها بعد الموت ؟ وهل هى النفس أو غيرها ؟ ؟

وقال محمد بن نصر المروزى : فى كتابه : « تأول صنف من الزنادقة وصنف من الروافض فى روح آدم ما تأولته النصارى فى روح عيسى وما تأوله قوم من أن الروح انفصل من ذات الله فصار فى المؤمن ، فبعد صنف من النصارى عيسى ومريم جميعاً لأن عيسى عندهم روح من الله صار فى مريم من غير مخلوق عندهم » .

وقال صنف من الزنادقة وصنف من الروافض إن روح آدم مثل ذلك أنه غير مخلوق وتأولوا قوله تعالى : (ونفخت فيه من روحى) وقوله تعالى : (ثم سواه ونفخ فيه من روحه) فزعموا أن روح آدم ليس بمخلوق كما تأول من قال

إن النور من الرب غير مخلوق قالوا : ثم صاروا بعد آدم فى الوصى بعده ، ثم هو فى كل نبى ووصى إلى أن صار فى علىّ ثم فى الحسن والحسين ، ثم فى كل وصى وإمام فيه يعلم الإمام كل شىء ولا يحتاج أن يتعلم من أحد .

ولا خلاف بين المسلمين أن الأرواح التى فى آدم ونبيه وعيسى ومن سواه من بنى آدم كلها مخلوقة لله خلقها وأنشأها وكونها واخترعها ، ثم أضافها إلى نفسه كما أضاف إليه سائر خلقه قال تعالى : (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : روح الآدمى مخلوقة مبدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة ، وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة . غير واحد من أئمة المسلمين مثل محمد بن نصر المروزى الإمام المشهور الذى هو من أعلم أهل زمانه بالإجماع والاختلاف ، وكذلك أبو محمد بن قتيبة قال فى كتاب (اللفظ) لما تكلم على الروح قال : النسم : الأرواح . قال : وأجمع الناس على أن الله تعالى هو فالق الحبة وبارئ النسمة أى خالق الروح . وقال أبو إسحاق ابن شاقلا فيما أجاب به فى هذه المسئلة : سألت رحمك الله عن الروح مخلوقة هى أو غير مخلوقة ؟ قال وهذا مما لا يشك فيه من وفق للصواب أن الروح من الأشياء المخلوقة ، وقد تكلم فى هذه المسئلة طوائف من أكابر العلماء والمشايخ وردوا على من يزعم أنها غير مخلوقة وصنف الحافظ أبو عبد الله بن منده فى ذلك كتاباً كبيراً ، وقبله الإمام محمد بن نصر المروزى وغيره ، والشيخ أبو سعيد الخزاز وأبو يعقوب النهر جورى والقاضى أبو يعلى ، وقد نص على ذلك الأئمة الكبار واشتد نكيرهم على من يقول ذلك فى روح عيسى بن مريم فكيف بروح غيره كما ذكره الإمام أحمد فيما كتبه فى مجلسه فى الرد على الزنادقة والجهمية ، ثم إن الجهمى ادعى أمراً فقال : أنا أجد آية فى كتاب الله مما يدل على أن القرآن

مخلوق . قوله تعالى : (إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) وعيسى مخلوق ..

قلنا : إن الله تعالى منعك الفهم للقرآن .. إن عيسى تجرى عليه ألفاظ لا تجرى على القرآن . لأنا نسميه مولوداً وطفلا وصبيًّا وغلاماً يأكل ويشرب وهو مخاطب بالأمر والنهى يجرى عليه الخطاب والوعد والوعيد ، ثم هو من ذرية نوح ومن ذرية إبراهيم فلا يحل لنا أن نقول فى القرآن ما نقول فى عيسى ، فهل سمعتم الله يقول فى القرآن ما قال فى عيسى ؟ ونكن المعنى فى قوله تعالى : (إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) فالكلمة التى ألقاها إلى مريم حين قال له : كن . فكان عيسى بكن . وليس عيسى هو كن .. ولكن كان بكن . فكن من الله .. قول .. وليس كن .. مخلوقاً .

وكذبت النصارى والجهمية على الله فى أمر عيسى ، وذلك أن الجهمية قالوا : روح الله وكلمته إلا أن كلمته مخلوقة ، وقالت النصارى عيسى روح الله وكلمته من ذاته كما يقال : هذه الخرقة من هذا الثوب .. قلنا نحن .. إن عيسى بالكلمة كان . وليس عيسى هو الكلمة ، وإنما قول الله تعالى كن وقوله : (وروح منه) يقول من أمره كأن الروح فيه كقوله : (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه) يقول من أمره ، وتفسير روح الله إنما معناها بكلمة الله خلقها كما يقال عبد الله وسماء الله وأرض الله ، فقد صرح بأن روح المسيح مخلوقة فكيف بسائر الأرواح ، وقد أضاف الله إليه الروح الذى أرسله إلى مريم وهو عبده ورسوله ولم يدل على ذلك أنه قديم غير مخلوق فقال تعالى : (فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويًّا . قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًّا . قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيًّا) . فهذا الروح هو روح الله وهو عبده ورسوله .

فالروح حادثة وليست بقديمة بإجماع المسلمين .. فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : « إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً . ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك . ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك . ثم يرسل الله تعالى الملك فينفخ فيه الروح . ويؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد . فوالذى لا إله غيره . إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ». (رواه مسلم) .

ومنه يتضح أن الروح محدثة ويظهر أنها تحدث بعد تسوية الجسم وتتصل به وتحل فيه وهو جنين . والله ورسوله أعلم .

أما ما يراه الإمام شمس الدين أبى عبد الله بن القيم من تأكيد ذلك فى كتابه فيسوق على صحته الدلائل فيقول : الذى يدل على خلقها وجوه :

الوجه الأول : قول الله تعالى : (الله خالق كل شىء) . فهو لفظ عام لا تخصيص فيه بوجه ما ولا يدخل فى ذلك صفاته فإنها داخلة فى مسمى باسمه ، فالله سبحانه هو الإله الموصوف بصفات الكمال فعلمه وقدرته وحياته وإرادته وسمعه وبصره وسائر صفاته داخل فى مسمى اسمه ليس داخلا فى الأشياء المخلوقة ، كما لم تدخل ذاته فيها فهو سبحانه بذاته وصفاته الخالق . وما سواه مخلوق .

ومعلوم قطعاً أن الروح ليست هى الله ولا صفة من صفاته وإنما هى مصنوع من مصنوعاته ، فوقوع الخلق عليها كوقوعه على الملائكة والجن والإنس .

الوجه الثانى : قوله تعالى لزكريا : (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً) وهذا الخطاب لروحه وبدنه وليس لبدنه فقط ، فإن البدن وحده لا يفهم

ولا يخاطب ولا يعقل وإنما الذى يفهم ويعقل ويخاطب هو الروح .

الوجه الثالث : قوله تعالى : (والله خلقكم وما تعملون) .

الوجه الرابع : قوله تعالى : (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم)، وهذا الإخبار إمَّا أنه يتناول أرواحنا وأجسادنا كما يقول الجمهور، وإما أن يكون واقعًا على الأرواح قبل خلق الأجساد كما يقوله من يزعم ذلك. وعلى التقدير فهو صريح فى خلق الأرواح.

الوجه الخامس : النصوص الدالة على أنه سبحانه وتعالى ربنا ورب آبائنا الأولين ورب كل شىء . وهذه الربوبية شاملة لأرواحنا وأبداننا فالأرواح مربوبة له مملوكة كما أن الأجسام كذلك وكل مربوب مملوك فهو مخلوق .

الوجه السادس : أول سورة فى القرآن وهى الفاتحة تدل على أن الأرواح مخلوقة من عدة أوجه : (أحدها : قول الله تعالى : (الحمد لله رب العالمين) والأرواح من جملة العالم فهو ربها .

والثانى : قوله تعالى : (إياك نعبد وإياك نستعين) فالأرواح عابدة له مستعينة ولو كانت غير مخلوقة لكانت معبودة مستعاناً بها .

الثالث : أنها فقيرة إلى هداية فاطرها وربها تسأله أن يهديها صراطه المستقيم .

الرابع : أنها منعم عليها مرحومة ومغضوب عليها وضالة شقية ، وهذا شأن المربوب والمملوك لا شأن القديم غير المخلوق .

الوجه السابع : النصوص الدالة على أن الإنسان عبد بجملته وليست عبوديته واقعة على بدنه دون روحه بل عبودية الروح أصل وعبودية البدن تبع ، كما أنه تبع لها فى الأحكام وهى التى تحركه وتستعمله وهو تبع لها فى العبودية .

الوجه الثامن : قوله تعالى : (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) . فلو كانت روحه قديمة لكان الإنسان لم يزل شيئاً مذكوراً ،

فإنه إنما هو إنسان بروحه لا ببدنه فقط .

الوجه التاسع : النصوص الدالة على أن الله سبحانه كان ولم يكن شيء غيره كما ثبت فى صحيح البخارى من حديث عمران بن حصين ، أن أهل اليمن قالوا : يا رسول الله جئناك لنتفقه فى الدين ونسألك عن أول هذا الأمر . فقال ﷺ : كان الله ولم يكن شيء غيره . وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شيء ، فلم يكن مع الله أرواح ولا نفوس قديمة يساوى وجودها وجوده تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً ، بل هو الأول وحده لا يشاركه غيره فى أوليته بوجه .

الوجه العاشر : النصوص الدالة على خلق الملائكة وهم أرواح مستغنية عن أجساد تقوم بها ، وهم مخلوقون قبل خلق الإنسان وروحه ، فإذا كان الملك الذى يحدث الروح فى جسد ابن آدم بنفخته مخلوقا فكيف تكون الروح الحادثة بالنفخة .. قديمة ؟ وهؤلاء الغالطون يظنون أن الملك يرسل إلى الجنين بروح قديمة أزلية ينفخها فيه كما يرسل الرسول بثوب إلى الإنسان يلبسه إياه ، وهذا ضلال وخطأ ، وإنما يرسل الله سبحانه إليه الملك فينفخ فيه نفخة تحدث له الروح بواسطة تلك النفخة فتكون النفخة هى سبب حصول الروح وحدوثها له، ولمَّا كان الوطء والإنزال سبب تكوين جسمه، والغذاء سبب نموه. فمادة الروح من نفخة الملك ومادة الجسم من صب الماء فى الرحم ، فهذه مادة سماوية وهذه مادة أرضية فمن الناس من تغلب عليه المادة السماوية فتصير روحه علوية شريفة ، ومنهم من تغلب عليه المادة الأرضية فتصير روحه سفلية مهينة تناسب الأرواح السفلية ، فالملك أب لروحه والتراب أب لبدنه وجسمه .

الوجه الحادى عشر : حديث أبى هريرة رضى الله عنه الذى فى صحيح البخارى وغيره عن النبى ، ﷺ : « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف

وما تناكر منها اختلف » والجنود المجندة لا تكون إلا مخلوقة ، وهذا الحديث رواه عن النبى ، ﷺ ، أبو هريرة وعائشة أم المؤمنين ، وسلمان الفارسى وعبد الله ابن عباس وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وعلى بن أبى طالب وعمرو ابن عبسة رضى الله عنهم أجمعين .

هل الروح ذات قائمة بنفسها ؟

هذه مسألة لا نكاد نجد من تكلم فيها ولا يظفر فيها من كتب الناس بطائل ولا غير طائل ، ولا سيما على أصول من يقول إنها مجردة عن المادة وعلائقها وليست بداخل العالم ولا خارجه ولا لها شكل ولا قدر ولا شخص ، وكذلك من يقول هى عرض من أعراض البدن فتميزها عن غيرها مشروط بقيامها ببدنها فلا تميز لها بعد الموت ، بل لا وجود لها على أصولهم ، بل تعدم وتبطل باضمحلال البدن كما تبطل سائر صفات الحى ، ولا يمكن جواب هذه المسئلة إلا على أصول أهل السنة التى تظاهرت عليها أدلة القرآن والسنة والآثار والاعتبار والعقل ، والقول إنها ذات قائمة بنفسها تصعد وتنزل وتتصل وتنفصل وتخرج وتذهب وتجىء وتتحرك وتسكن وعلى هذا أكثر من مائة دليل فى كتاب معرفة الروح والنفس[1] .

وقد وصفها الله سبحانه وتعالى بالدخول والخروج والقبض والإرسال والتوفى والرجوع وصعودها إلى السماء وفتح أبوابها لها وغلقها عنها فقال تعالى : (ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم) وقال تعالى : (يأيتها النفس المطمئنة . ارجعى إلى ربك راضية مرضية . فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى) . وهذا يقال لها عند المفارقة للجسد

(١) ذكره ابن قيم الجوزية فى كتابه « الروح ».

وقال تعالى : (ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها) فأخبر أنه سوى نفس الإنسان كما سوى بدنه بل سوى بدنه قالباً لنفسه فتسوية البدن تابعة لتسوية النفس . والبدن موضوع لها – كالقالب لما هو موضوع له .

ومن هنا نقول إن الروح تأخذ من بدنها صورة تتميز بها عن غيرها فإنها تتأثر وتنتقل عن البدن كما يتأثر البدن وينتقل عنها فيكتسب البدن الطيب من الروح الطيب والخبيث من الخبيث ، كذلك يكتسب الروح الطيب والخبث من البدن فأشد الأشياء ارتباطاً وتناسباً وتفاعلا وتأثراً من أحدهما بالآخر الروح بالبدن ، ولذلك يقال لها عند المفارقة اخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب النفس . واخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث .

وقال الله تعالى : (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) فوصفها بالتوفى والإمساك والإرسال كما وصفها بالدخول والخروج والرجوع والتسوية ، وقد أخبر النبى ، ﷺ ، أن بصر الميت يتبع نفسه إذا قبضت ، وأخبر أن الملك يقبضها فتأخذها الملائكة من يده فيوجد لها كأطيب نفحة مسك على وجه الأرض أو كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، والأعراض لا ريح لها ولا تمسك ولا تؤخذ من يد إلى يد .

وأخبر ، ﷺ ، أنها تصعد إلى السماء ويصلى عليها كل ملك لله بين السماء والأرض ، وأنها تفتح أبواب السماء فتصعد من سماء إلى سماء حتى ينتهى بها إلى السماء التى فيها الله عز وجل فتوقف بين يديه ويأمر بكتابة اسمه فى ديوان أهل عليين أو ديوان أهل سجين ثم ترد إلى الأرض ، وأن روح الكافر تطرح طرحاً وأنها تدخل مع البدن فى قبرها للسؤال .

وقد أخبر النبى ، ﷺ ، بأن نسمة المؤمن وهى روحه طائر يعلق فى شجرة

الجنة حتى يردها الله إلى جسدها .

وأخبر ﷺ ، أن أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ، وأخبر أن الروح تنعم وتعذب فى البرزخ إلى يوم القيامة .

كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن أرواح قوم فرعون أنها تعرض على النار غدوًا وعشيًا قبل يوم القيامة ، وقد أخبرنا سبحانه وتعالى أيضا عن الشهداء بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون. وهذه حياة أرواحهم، ورزقها جارٍ وإلا فالأبدان قد تمزقت ، وقد فسر رسول الله ، ﷺ ، هذه الحياة بأن أرواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوى إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال : هل تشتهون شيئاً ؟ قالوا : أى شىء نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا . فعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من السؤال قالوا : نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى .

وصح عنه ﷺ ، أن أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تعلق من ثمر الجنة وتعلق بضم اللام أى تأكل العلقة .

وقال ابن عباس . قال ، ﷺ ، لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم قالوا : ياليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب ، فقال الله عز وجل أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله تعالى على رسوله ﷺ ، (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) رواه الإمام أحمد وهذا صريح فى أكلها وشربها وحركتها وانتقالها وكلامها ، وإذا كان هذا شأن الأرواح فتميزها بعد المفارقة يكون أظهر من تميز

الأبدان ، والاشتباه بينها أبعد من اشتباه الأبدان ، فإن الأبدان تشتبه كثيراً أما الأرواح فقلّ ما تشتبه .

يوضح هذا أنا لم نشاهد أبدان الأنبياء والصحابة والأئمة وهم متميزون فى علمنا أظهر تميز وليس ذلك التميز راجعاً إلى مجرد أبدانهم وإن ذكر لنا فى ذلك ما يختص به أحدهم من الآخر بل التميز الذى عندنا بما علمناه وعرفناه من صفات أرواحهم وما قام بها ، وتميز الروح عن الروح بصفاتها أعظم من تميز البدن عن البدن وصفاته . فبدن المؤمن والكافر قد يشتبهان كثيرا ولكن بين روحيهما أعظم التباين والتميز ، فإذا تجردت الأرواح كان التميز فى غاية الوضوح .

ويقول ابن القيم إن من تأمل أحوال الأنفس والأبدان يرى أن كل شكل حسن وصورة جميلة وتركيب لطيف غالباً ما يكون له ما يناسب ذلك الحسن والجمال واللطف من الروح .. ونادراً ما يقع غير ذلك .

وإذا كانت الأرواح العلوية (الملائكة) متميزاً بعضهم عن بعض من غير أجسام تحملهم .. وكذلك الجن .. فإن التميز بين الأرواح البشرية أولى .

هل الروح جسد أو لا ؟

وقد توسع الإمام الرازى فى بحث طبيعة الروح : أهى جسد أم لا ؟ فأقام حججاً عقلية وسمعية على أن الروح ليست جسداً .. ومما قاله فى هذا الشأن وهو لا يفرق بين الروح والنفس .

الحجة الأولى : قوله تعالى : (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) ومعلوم أن أحداً من العقلاء لا ينسى . هذا الهيكل المشاهد ، فدل

ذلك على أن النفس التى ينساها الإنسان عند فرط الجهل هى شىء آخر بخلاف البدن .

الحجة الثانية : قوله تعالى : (أخرجوا أنفسكم) . وهذا صريح فى أن النفس غير البدن وقد أوضحنا ذلك فى هذا الكتاب .

الحجة الثالثة : أنه تعالى ذكر أطوار ومراتب الخلقة الجسمانية فقال : (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين) إلى قوله (فكسونا العظام لحما) وقد أوضحنا أن جميع هذه المراتب اختلافات واقعة فى الأحوال الجسمانية . ثم إنه تعالى لما أراد أن يذكر الروح قال : (ثم أنشأناه خلقاً آخر) ، وهذا صريح بأن ما يتعلق بالروح جنس مغاير لما سبق ذكره من التغيرات الواقعة فى الأحوال الجسمانية ، وذلك يدل على أن الروح شىء مغاير للبدن .

الحجة الرابعة : قوله (فإذا سويته ونفخت فيه من روحى) ميز تعالى بين التسوية وبين نفخ الروح ، فالتسوية عبارة عن تخليق الأبعاض والأعضاء وتعديل المزاج والأشباح ، فلما ميز نفخ الروح عن تسوية الأعضاء ثم أضاف إلى نفسه بقوله : (من روحى) دل ذلك على أن جوهر الروح مغاير لجوهر الجسد .

الحجة الخامسة : قوله تعالى : (ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها) وهذه الآية صريحة فى وجود شىء موصوف بالإدراك والتحريك معاً ، لأن الإلهام عبارة عن الإدراك . وأما الفجور والتقوى فهو فعل وهذه الآية صريحة فى أن الإنسان شىء واحد ، وهو موصوف بالإدراك والتحريك وموصوف أيضاً بفعل الفجور تارة وفعل التقوى تارة أخرى . ومعلوم أن جملة البدن غير موصوف بهذين الوصفين فلابد من إثبات جوهر آخر يكون موصوفاً بكل هذه الأمور .

الحجة السادسة : قوله (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيراً) فهذا تصريح بأن الإنسان شيء واحد وهو المبتلى بالتكاليف الإلٰهية والأمور الربانية ، والموصوف بالسمع والبصر ومجموع البدن ليس كذلك وليس عضوا من أعضائه كذلك ، فالنفس شيء مغاير لجملة البدن ومغاير لأجزاء البدن وهو موصوف بكل هذه الصفات . وقد سبق أن أوضحنا أن الروح تتعلق بالبدن فهى جوهر غيره . وعجيب بعد كل هذا أن نسمع من يقول : توفى رسول الله ، ﷺ ، وما كان يعرف الروح .

ويقرر الغزالى والرازى وغيرهما أن أصحاب الرياضات النفسية والمجاهدات الروحية كلما أمعنوا فى قهر القوى البدنية وتجويع الجسد قويت قواهم الروحانية ، وأشرقت نفوسهم بالمعارف الإلهية .. وأنه كلما أمعن الإنسان فى الأكل والشرب وقضاء شهواته الجسدية صار كالبهيمة محروماً من آثار العقل والفهم والمعرفة والإشراق الروحى .

جسمية الروح وتحيزها

قال أبو الحسن الأشعرى فى مقالاته اختلف الناس فى الروح والنفس والحياة – وهل الروح هى الحياة أو غيرها – وهل الروح جسم أو لا ؟ فقال النظّام : الروح (هى) جسم . وهى النفس وزعم أن الروح حى بنفسه وأنكر أن تكون الحياة والقوة معنى غير الحى القوى .. وقال آخرون الروح عرض ، وقال فريق ثالث (جعفر بن حرب) لا ندرى أهى جوهر أم عرض فهى من أمر ربنا . . وتعددت الآراء والمزاعم .. ونعرض الآن للرأيين الشائعين (من قالوا بجسمية الروح – ومن قالوا بغير ذلك) .

أولا : القائلون بأن الإنسان عبارة عن جسم مخصوص موجود فى داخل البدن :

وقد اختلفوا فى تعيين ذلك الجسم على وجوه :

١ – أنه عبارة عن الأخلاط الأربعة التى يتولد منها البدن .

٢ – أنه الدم .

٣ – أنه الروح اللطيف الذى يتولد فى الجانب الأيسر من القلب وينفذ فى الشريانات إلى سائر الأعضاء ..

٤ – أنه الروح الذى يصعد فى القلب إلى الدماغ .

٥ – أنه جزء لا يتجزأ فى القلب .

٦ – أنه جسم بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو جسم نورانى علوى .

٧ – قوله تعالى : (ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون) إلى قوله تعالى : (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة) .

وفيها أربعة أدلة « إمكان تناولها (أخرجوا أنفسكم) – وصفها بالإخراج والخروج – الإخبار عن عذابها فى ذلك اليوم – الإخبار عن مجيئها إلى ربها » .

٨ – (وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم) إلى قوله تعالى : (حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون) . وفيها ثلاثة أدلة : (توفى الأنفس بالليل – بعثها إلى أجسادها بالنهار – توفى الملائكة له عند الموت) .

٩ – (يأيتها النفس المطمئنة . ارجعى إلى ربك راضية مرضية . فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى) وفيها ثلاثة أدلة : « وصفها بالرجوع – وصفها بالدخول – وصفها بالرضا » .

١٠ – قوله ﷺ : « الروح إذا قبض تبعه البصر » فيه دليلان « وصفه بالقبض – أن البصر يراه » .

١١ – قوله ﷺ ، « إن الله قبض أرواحكم وردها إليكم حين شاء » فيه دليلان « القبض – الرد » .

١٢ – قوله ﷺ : « نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة » فيه دليلان « طائر – يعلق » .

١٣ – قوله ﷺ : « أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت وتأوى إلى قناديل معلقة بالعرش فاطلع إليهم ربك اطلاعة فقال : أى شىء تريدون ؟ » الحديث وفيه ستة أدلة « كونها مودعة فى جوف طير – تسرح فى الجنة – تأكل من ثمارها وتشرب من أنهارها – تأوى إلى قناديل – الله سبحانه خاطبها واستنطقها فأجابته وخاطبته – طلبت الرجوع إلى الدنيا .. فهى مما يقبل الرجوع » . « فإن قيل » هذا كله صفة الطير لا صفة الروح (قيل) بل الروح المودعة فى الطير قصد وعلى الرواية التى رجحها أبو عمر وهى قوله : (أرواح الشهداء كطير .. ينفى السؤال بالكلية) .

١٤ – قوله ﷺ ، فى حديث طلحة بن أبى عبيد الله أردت مالى بالغابة فأدركنى الليل، فأويت إلى قبر عبدالله بن عمرو بن حرام، فسمعت قراءة من القبر ما سمعت أحسن منها فقال ، ﷺ : ذاك عبد الله .. ألم تعلم أن الله قبض أرواحهم فجعلها فى قناديل من زبرجد وياقوت ثم علقها وسط الجنة ، فإذا كان الليل ردت إليهم أرواحهم فلا تزال كذلك ، حتى إذا طلع الفجر ردت أرواحهم إلى مكانها التى كانت[٢] .. وفيه أربعة أدلة سوى ما تقدم « جعلها فى

---

(٢) الروح لابن القيم من ص ٢٦٦ – ٢٩٣ – ١٩٧٣م – مكتبة صبيح .

القناديل – انتقالها من حيز إلى حيز – تكلمها وقراءتها فى القبر – وصفها بأنها فى مكان » .

١٥ – حديث للبراء بن عازب فيه عشرون دليلا .

وقد استطرد ابن القيم فى ذكر مائة وستة عشر دليلا – فى كتاب الروح – لمن يقولون بجسميتها وتحيزها نكتفى منها بما ذكرناه لضيق المقام ، ومن شاء الاستزادة فليرجع إلى الكتاب الذى ذكرنا .

وفيما يلى ذكر بعض أدلة المنازعين لهم والقائلين :

« الروح ليس جسما وليس متحيزا » .

١ – اتفاق العقلاء على قولهم : « الروح والجسم – النفس والجسم فيجعلونها شيئاً غير الجسم فلو كانت جسماً لم يكن لهذا القول معنى » .

٢ – من المعلوم أن فى الموجودات ما هو غير قابل للقسمة كالنقطة والجوهر الفرد ، بل ذات موجد الوجود (الله) فوجب أن يكون العلم بذلك غير قابل للقسمة ، فوجب أن يكون الموصوف بذلك العلم وهو محله غير قابل للقسمة وهو النفس ، فلو كانت جسمًا لكانت قابلة للقسمة : ويقرر هذا الدليل على وجه آخر وهو أن محل العلوم الكلية لو كان جسماً أو جسمانيًا لانقسمت تلك العلوم ، لأن الحال فى المنقسم وانقسام تلك العلوم مستحيل .

٣ – أن الصور العقلية الكلية مجردة بلا شك وتجردها إما أن يكون بسبب المأخوذ عنه أو بسبب الأخذ ؛ والأول باطل لأن هذه الصور إنما أخذت عن الأشخاص الموصوفة بالمقادير المختلفة والأوضاع المعينة ، فثبت أن تجردها إنما هو بسبب الأخذ لها والقوة العقلية المسماة بالنفس .

٤ – أن القوة العاقلة تقوى على أفعال غير متناهية فإنها تقوى على إدراكات لا تتناهى والقوة الجسمانية لا تقوى على أفعال غير متناهية ، لأن القوة الجسمانية

تنقسم بانقسام محلها ، فالذى يقوم عليه بعضها يجب أن يكون أقل من الذى يقوى عليه الكل . فالذى يقوى عليه الكل يزيد على الذى يقوى عليه البعض أضعافاً متناهية « والزائد على المتناهى بمتناه .. متناه » .

٥ – لو كانت القوة العقلية جسدانية لضعفت فى زمان الشيخوخة دائماً .. وليس كذلك الأمر دائماً .

٦ – لو كانت النفس جسماً لكانت منقسمة ولصح عليها أن يعلم بعضها كما يعلم كلها ، فيكون الإنسان عالماً ببعض نفسه جاهلا بالبعض الآخر وذلك محال .

٧ – لو كانت النفس جسماً لوجب أن يثقل الجسد بدخولها فيه ، لأن شأن الجسم الفارغ إذا ملأه غيره أن يثقل به كالزق الفارغ والأمر بالعكس ، فأخف ما يكون البدن إذا كانت فيه النفس وأثقل ما يكون إذا فارقته .

٨ – لو كانت النفس جسماً لكانت على صفات سائر الأجسام التى لا يخلو شىء منها ، من الخفة والثقل والحرارة والبرودة والنعومة والخشونة والسواد والبياض وغير ذلك من صفات الأجسام وكيفياتها ، ومعلوم أن الكيفيات النفسانية إنما هى الفضائل والرذائل لا تلك الكيفيات الجسمانية فالنفس ليست جسماً .

٩ – لو كانت جسماً لوجب أن تقع تحت جميع الحواس أو تحت حاسة منها أو حاستين أو أكثر ، فإنا نرى الأجسام كذلك منها ما يدرك بجميع الحواس ومنها ما يدرك بأكثرها ، ومنها ما يدرك بحاستين منها أو بواحدة والنفس بريئة من ذلك كله ، وهذه الحجة التى احتج بها جهم على طائفة من الملاحدة حين أنكروا الخالق سبحانه وقالوا : لو كان موجوداً لوجب أن يدرك بحاسة من الحواس فعارضهم بالنفس وأنى تتم المعارضة إذا كانت جسما . وإلا لو كانت

جسماً لجاز إدراكها ببعض الحواس .

١٠ – لو كانت جسماً لكانت ذات طول وعرض وعمق وسطح وشكل ، وهذه المقادير والأبعاد لا تقوم إلا بمادة ومحل ، فإن كانت مادتها ومحلها نفساً لزم اجتماع نفسين .. وإن كانت غير نفس كانت النفس مركبة من بدن وصورة وهى فى جسد مركب من بدن وصورة ، فيكون الإنسان إنسانين ، لذا تحتم أنها ليست جسماً ..) .

ومضى هذا الفريق يدلل على رأيه حتى ساق اثنين وعشرين دليلا ولكن هناك من رد عليهم حججهم فأبطلها ، وأيد الفريق الأول فى حججه مركزاً على أنها جسم لطيف فى جسم كثيف . غير أن الأسئلة فى موضوع الروح لا تنتهى وإنما كلها غاص سؤال طفا على السطح سؤال ولكن السؤال الذى يلح علينا الآن هو :

هل سبقت الأجسادُ الأرواح فى خلقها ؟
أو سبقت الأرواحُ خلق الأجساد ؟

وللناس فى هذه المسألة قولان معروفان ، ففريق ذهب إلى تقدم خلق الأرواح على الأجساد وفريق قال بعكس ذلك .. فأما الفريق الأول ومنهم محمد بن نصر المروزى وأبو محمد بن حزم فيسوق حججاً منها :

١ – (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا) . قالوا : ثم للترتيب والمهلة فقد تضمنت الآية أن خلقها مقدم على أمر الله للملائكة بالسجود لآدم ، ومن المعلوم قطعاً أن أبداننا حادثة بعد ذلك فعلم أنها الأرواح .

٢ – (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) قالوا : وهذا الاستنطاق والاستشهاد إنما كان لأرواحنا إذ لم تكن الأبدان حينئذ موجودة .

٣ – احتجوا أيضاً بما رواه أبو عبد الله بن منده أخبرنا محمد بن صابر البخارى ، حدثنا محمد بن المنذر بن سعد الهروى ، حدثنا عن جعفر بن محمد ابن هارون المصيصى ، حدثنا عتبة بن السكن ، حدثنا أرطأة بن المنذر ، حدثنا عطاء بن عجلان عن يونس بن حلبس عن عمرو بن عبسة قال : سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : « إن الله خلق أرواح العباد قبل العباد بألفى عام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » .

أما الذين قالوا بخلق الأرواح بعد الأبدان فقد ذكروا ما يلى :

١ – (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) هذا خطاب للإنسان الذى هو روح وبدن ، يدل على أن جملته مخلوقة بعد خلق الأبوين وأصرح منه قوله تعالى : (يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام) وهذا صريح فى أن خلق جملة النوع الإنسانى بعد خلق أصله .

٢ – (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ..) الآية . قال ابن الأنبارى مذهب أهل الحديث وكبراء أهل العلم فى هذه الآية ، أن الله أخرج ذرية آدم من صلبه وأصلاب أولاده وهم فى صور الذر ، فأخذ عليهم الميثاق أنه خالقهم وأنهم مصنوعون ، فاعترفوا بذلك وقبلوا ذلك بعد أن ركب فيهم عقولا عرفوا بها ما عرض عليهم ، كما جعل للجبل عقلا حين خوطب وكما فعل ذلك بالبعير لما سجد والنخلة حتى سمعت وانقادت حين دعيت .

٣ – القرآن والحديث والآثار تدل على أنه سبحانه نفخ فى آدم من روحه

بعد خلق جسده ، فمن تلك النفخة حدثت فيه الروح .

فهذا بعض كلام السلف والخلف ممن قالوا بسبق خلق الروح على خلق البدن ، وكذا من قالوا بتقدم البدن على خلق الروح .. ونحن نخبر بما أخبر به الرسول ، ﷺ ، فى الحديث الصحيح : أن خلق ابن آدم يجمع فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح .. فالملك وحده يرسل إليه فينفخ فيه فإذا نفخ فيه كان ذلك سبب حدوث الروح فيه ، ولم يقل يرسل الملك إليه بالروح فيدخلها فى بدنه ، وإنما أرسل إليه الملك فأحدث فيه الروح بنفخته فيه .. وفرق بين أن يرسل إليه ملك ينفخ فيه الروح وبين أن يرسل إليه روح مخلوقة قائمة بنفسها مع الملك .. والله الموفق[٣] .

هل الروح سبب الحياة ؟

نطالع فى كتاب الروض الأنف (شرح السيرة النبوية) لابن هشام فصلا فى أن الروح سبب الحياة فى الجزء الأول يقول : فإذا ثبت أن الروح سبب الحياة عادة أجراها الله تعالى ، فهو كالماء الجارى فى عروق الشجرة صعدا حتى تحيا به عادة ، فنسميه ماء باعتبار أوليته ونسمى أيضا هذا روحا باعتبار أوليته واعتبار النفخة التى هى ريح ، فما دام الجنين فى بطن أمه حيًّا فهو ذو روح ، فإذا نشأ واكتسب ذلك الروح أخلاقاً وأوصافاً لم تكن فيه وأقبل على مصالح الجسم كلفاً به وعشق مصالح الجسد ولذّاته ودفع المضار عنه سمى نفساً ، كما يكتسب الماء الصاعد فى الشجرة من الشجرة أوصافاً لم تكن فيه ، فالماء فى العنبة مثلا هو ماء باعتبار الأصل والبدأة . ففيه من الماء

(٣) من أراد الاستزادة والاستفاضة فعليه بكتاب الروح لابن القيم ففيه تفصيل .

الميوعة والرطوبة ، وفيه من العنبة الحلاوة وأوصاف أخر ، فتسميه مصطارا إن شئت أو خمراً إن شئت أو غير ذلك مما أوجبه الاكتساب لهذه الأوصاف ، فمن قال إن النفس هى الروح على الإطلاق من غير تقييد فلم يحسن العبارة ، وإنما فيها من الروح الأوصاف التى تقتضيها نفخة الملك والملك موصوف بكل خلق كريم، ولذلك قال : فى الحديث فمن الروح عفافه وحلمه وذكاؤه وفهمه، ومن النفس شهوته وغضبه وطيشه وذلك بنجاسة الدم لسر لعله أن يفهم مما نحن بسبيله ، فمن يعرف جوهر الكلام وينزل الألفاظ منازلها لا يسمى روحاً إلا ما وقع به الفرق بين الجماد والحى ، والذى كان سبباً للحياة كما فى الكتاب العزيز عند ذكر إحياء النطفة ونفخ الروح فيها ولا يقال نفخ النفس فيها إلا عند الاتساع فى الكلام ، وتسمية الشىء بما يؤول إليه ، ومن هنا سمى جبريل عليه السلام روحاً والوحى روحاً لأن به تكون حياة القلوب قال الله سبحانه (أو من كان ميتاً فأحييناه) وقال عن الكفار : (أموات غير أحياء) وقال النفس ما تقدم وقال : (إن النفس لأمارة بالسوء) ولم يقل : إن الروح لأمارة ، لأن الروح الذى هو سبب الحياة لا يأمر بسوء ، ولا يسمى أيضاً نفساً كما قدمنا حتى يكتسب من الجسد الأوصاف المذكورة وماكان نحوها ، والماء النازل من السماء جنس واحد ، فإذا مازج أجساد الشجر كالتفاح والفرسك والحنظل والعشر وغير ذلك اختلفت أنواعه ، كذلك الروح الباطنة التى هى من عند الله هى جنس واحد ، وقد أضافها إلى نفسه تشريفاً لها حين قال : (ونفخ فيه من روحه) ثم يخالط الأجساد التى خلقت من طين ، وقد كان فى ذلك الطين طيب وخبيث فيترع كل فرع إلى أصله ، وينزع ذلك الأصل إلى ما سبق فى أم الكتاب وإلى ما دبره وأحكمه الحكيم الخبير ، فعند ذلك تتنافر النفوس أو تتقارب وتتحاب أوتتباغض على حسب التشاكل فى أصل الخلقة ، وهى معنى

قول النبى ﷺ : فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ، وقد كتب بعض الحكماء إلى صديق له ، إن نفسى غير مشكورة على الانقياد إليك بغير زمام ، فإنها صادفت عندك بعض جواهرها والشيء يتبع بعضه بعضا .

هل تموت الروح أو لا ؟

يقول ابن القيم : اختلفوا فى الأرواح هل تموت بموت الأبدان والأنفس أو لا تموت ؟

فقالت طائفة : الأرواح لا تموت ولا تبلى .

وقالت جماعة : الأرواح على صور الخلق لها أيد وأرجل وأعين وسمع وبصر ولسان .

وقالت طائفة : للمؤمن ثلاثة أرواح وللمنافق والكافر روح واحدة .

وقال بعضهم : للأنبياء والصديقين خمس أرواح .

وقال بعضهم : الأرواح روحانية خلقت من الملكوت فإذا صفت رجعت إلى الملكوت .

قلت : أما الروح التى تتوفى فهى روح واحدة وهى النفس .. وأما ما يؤيد الله به أنبياءه من الروح فهى روح أخرى غير هذه الروح ، كما قال تعالى : (أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه) وكذلك الروح الذى أيد به روحه المسيح بن مريم كما قال تعالى : (إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس) . وكذلك الروح التى يلقيها على من يشاء من عباده وهى غير الروح فى البدن . وأما القوى التى فى البدن فإنها تسمى أيضا أرواحاً فيقال : الروح الباصر والروح السامع والروح

الشام فهذه الأرواح قوى مودعة فى البدن تموت بموت الأبدان وهى غير الروح التى لا تموت بموت الأبدان ولا تبلى كما تبلى .. ويطلق الروح على أخص من هذا كله وهو قوة المعرفة بالله والإنابة إليه ومحبته وانبعاث الهمة إلى طلبه وإرادته ، ونسبة هذه الروح إلى الروح كنسبة الروح إلى البدن ، فإذا فقدتها الروح كانت بمنزلة البدن إذا فقد روحه ، وهى الروح التى يؤيدها أهل ولايته وطاعته .. فللعلم روح وللإحسان روح وللإخلاص روح وللتوكل والصدق روح .. وللإنابة والمحبة روح .. إلخ والناس متفاوتون فى هذه الأرواح أعظم تفاوت .. فمنهم من تغلب عليه الأرواح فيصير روحانيًا ، ومنهم من يفقدها أو أكثرها فيصير أرضيًا بهيميًا ..

وفيما يلى نعرض بتفصيل للرأى القائل بأن الروح مخلوقة حادثة ولذا فإنها توصف بالوفاة والقبض والإمساك والإرسال (وهذا شأن المخلوق المحدث المربوب) قال الله تعالى : (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون). والأنفس ها هنا هى الأرواح قطعاً وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن أبى قتادة الأنصارى عن أبيه قال : سرينا مع رسول الله ﷺ فى سفر ذات ليلة فقلنا يا رسول الله ، لو عرست بنا فقال : إنى أخاف أن تناموا فمن يوقظنا للصلاة ؟ فقال بلال : أنا يا رسول الله : فعرس بالقوم فاضجعوا وأسند بلال إلى راحلته فغلبته عيناه فاستيقظ رسول الله ﷺ وقد طلع جانب الشمس فقال : يا بلال أين ما قلت لنا ؟ فقال والذى بعثك بالحق ما ألقيت على نومة مثلها . فقال رسول الله ﷺ : « إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها حين شاء » فهذه الروح المقبوضة هى النفس التى يتوفاها الله حين موتها وفى منامها التى يتوفاها ملك الموت ، وهى التى تتوفاها رسل الله

سبحانه وهى التى يجلس الملك عند رأس صاحبها ويخرجها من بدنه كرهاً ، ويكفنها بكفن من الجنة أو النار ، ويصعد بها إلى السماء فتصلى عليها الملائكة أو تلعنها ، وتوقف بين يدى ربها فيقضى فيها أمره ثم تعاد إلى الأرض فتدخل بين الميت وأكفانه فيسأل ويمتحن ويعاقب وينعم ، وهى التى تجعل فى أجواف الطير الأخضر تأكل وتشرب من الجنة ، وهى التى تعرض على النار غدوًا وعشيًا . وهى التى تؤمن وتكفر وتطيع وتعصى وهى الأمارة بالسوء ، وهى اللوامة وهى المطمئنة إلى ربها وأمره وذكره ، وهى التى تعذب وتنعم وتسعد وتشقى وتحبس وترسل وتصح وتسقم وتلذ وتألم وتخاف وتحزن وما ذاك إلا سمات مخلوق مبدع وصفات منشئ مخترع وأحكام مربوب مدبر . تحت مشيئة خالقه وفاطره وبارئه .

وكان رسول الله ﷺ يقول عند نومه « اللهم أنت خلقت نفسى وأنت توفاها ، لك مماتها ومحياها ، فإن أمسكتها فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » وهو تعالى بارئ النفوس كما هو بارئ الأجساد . قال تعالى : (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير) قيل .. من قبل أن نبرأ المصيبة .. وقيل .. من قبل أن نبرأ الأرض . وقيل من قبل أن نبرأ الأنفس ، وهو أولى لأنه أقرب ما ذكر إلى الضمير . ولو قيل يرجع إلى الثلاثة أى من قبل أن نبرأ المصيبة والأرض والأنفس لكان أوجه .

وكيف تكون قديمة مستغنية عن خالق محدث مبدع لها وشواهد الفقر والحاجة والضرورة أعدل شواهد على أنها مخلوقة مربوبة مصنوعة ، وأن وجود ذاتها وصفاتها وأفعالها من ربها وفاطرها ليس لها من نفس إلا العدم ، فهى لا تملك لنفسها ضرًا ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً . لا تستطيع أن تأخذ من الخير إلا ما أعطاها وتتقى من الشر إلا ما وقاها ولا تهتدى إلى شىء من

مصالح دنياها وأخراها إلا بهداه وتصلح إلا بتوفيقه لها وإصلاحه إياها ، ولا تعلم إلا ما علمها ولا تتعدى ما ألهمها ، فهو الذى خلقها فسواها وألهمها فجورها وتقواها ، فأخبر سبحانه أنه خالقها ومبدعها وخالق أفعالها من الفجور والتقوى خلافاً لمن يقول إنها ليست مخلوقة ، ولمن يقول إنها وإن كانت مخلوقة فليس خالقاً لأفعالها بل هى التى تخلق أفعالها .

ومعلوم أنها لو كانت قديمة غير مخلوقة لكانت مستغنية بنفسها فى وجودها وصفاتها وكمالها وصلاحها هو من لوازم ذاتها ليس معلّلاً بعلة فإنه أمر ذاتى لها كما أن غنى ربها وفاطرها ومبدعها من لوازم ذاته ليس معللا بعلة ، فهو سبحانه الغنى بالذات وهى الفقيرة إليه بالذات فلا يشاركه فى ملكه أو غناه مشارك .. كما لا يشاركه فى قدمه وربوبيته أحد . فشواهد الخلق والحدوث على الأرواح كشواهده على الأبدان .

قال تعالى : (يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد) وهذا الخطاب بالفقراء موجه للأرواح والأبدان معاً ، وقد أرشد الله سبحانه عباده إلى أوضح دليل على ذلك بقوله : (فلولا إذا بلغت الحلقوم . وأنتم حينئذ تنظرون . ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون . فلولا إن كنتم غير مدينين . ترجعونها إن كنتم صادقين) . أى فلولا إن كنتم غير مملوكين ومقهورين ومربوبين ومجازين بأعمالكم تردون الأرواح إلى الأبدان إذا وصلت إلى هذا الموضع (الحلقوم) أو لا تعلمون بذلك أنها مدينة مملوكة مربوبة محاسبة مجازاة بعملها ..

هذا ما أردنا أن نسوقه لقارىء الكتاب من الأدلة على أن الروح حادثة ومخلوقة وليست قديمة مستغنية بنفسها كما يقول الضالون من أدعياء التصوف وأهل البدع – كما ذكرنا أن الروح تموت إذ هى مخلوقة حادثة[٤] .

---

(٤) الروح : ابن قيم الجوزية .

الروح بعد مفارقتها للجسد

والروح بعد مفارقتها للجسد يكون الموت وتبقى هى مدركة تسمع من يزورها وتعرفه وترد عليه السلام وتحس لذة النعيم وألم الجحيم.

يقول ابن تيمية: «وقد استفاضت الأخبار بمعرفة الميت بحال أهله وأصحابه فى الدنيا وأن ذلك يعرض عليه وأنه يرى ويدرى ما يفعل عنده ويسر بما كان حسناً ويتألم بما كان قبيحاً».

وروى عن عائشة رضى الله عنها: «بعد أن دفن عمر رضى الله عنه» أنها كانت تستتر وتقول: «كان أبى – وزوجى .. أما عمر فأجنبى» .. تعنى أنه يراها.

وروى أن الموتى يسألون الميت عن حال أهليهم فيعرفهم أحوالهم وأنه ولد لفلان ولد، وتزوجت فلانة.

وروى ابن عبد البر فى الاستذكار والتمهيد من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله، ﷺ: «ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن – كان يعرفه فى الدنيا – فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام». وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور له بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: إذا مر الرجل بقبر أخيه يعرفه فيسلم عليه رد عليه السلام وعرفه، وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام.

وروى ابن أبى الدنيا فى كتابه المذكور أيضاً بسنده عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس

عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم » ويؤيد ذلك ما ورد فى البخارى ومسلم من مخاطبته عليه السلام لقتلى قليب بدر بعد أن قذفوا فيه بأمره ﷺ ، وقوله للصحابة لما تعجبوا من ذلك : « والذى بعثنى بالحق ما أنتم بأسمع لما أقول منهم .. ولكنهم لا يستطيعون جواباً » .

ومعلوم أن معرفة الأموات لزوارهم الأحياء معرفة ورؤية روحانية لا قلبية ولا بصرية لذهاب مجال الحواس البدنية منهم بمجرد الموت .. « ولو بقيت أجسام الأنبياء كرامة لهم » .

وروى الإمام أحمد فى مسنده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات فإن كان خيراً استبشروا وإن كان غير ذلك قالوا : اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا » .. وروى الطبرانى فى الأوسط بسنده عن أبى أيوب الأنصارى حديثاً طويلاً وفيه قال : إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من أهل الآخرة ، فإن كان خيراً فرحوا واستبشروا وقالوا اللهم هذا فضلك ورحمتك فأعم نعمتك عليه وأمته عليه ، ويعرض عليهم عمل المسيئين فيقولون : اللهم ألهمهم عملاً صالحاً ترضى به وتقربهم إليك . وروى الترمذى الحكيم فى نوازل الأصول من حديث عبد الغفور بن محمد العزيز عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ تعرض الأعمال يوم الاثنين ويوم الخميس على الله وتعرض على الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضاً وإشراقاً .. فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم .

وروى ابن أبى الدنيا فى كتابه المئليات بسنده عن أبى هريرة قال : قال

رسول الله ﷺ « لا تفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم فإنها تعرض على أولئكم من أهل القبور » .

السؤال فى القبر

اتفق أهل السنة والجماعة على أن كل إنسان يسأل بعد موته قُبِرَ أو لم يقبر .. فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رماداً أو نسف فى الهواء أو غرق فى البحر لسئل عن أعماله وجوزى بالخير خيراً وبالشر شرًّا وأن النعيم أو العذاب على النفس والبدن معاً .

ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون فى نعيم أو عذاب ، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه ، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة ، وأنها تتصل بالبدن أحياناً ، ويحصل له معها النعيم أو العذاب ، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين ، ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى .

وفى مسند الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه وصحيح أبى حاتم : أن النبى ﷺ قال : « إن الميت إذا وضع فى قبره يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه ، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه والصيام عن يمينه والزكاة عن شماله .. وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان عند رجليه .. فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة : ما قِبَلى مدخل .. ثم يؤتى من يمينه فيقول الصيام ما قِبَلى مدخل .. ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة ما قبلى مدخل .. ثم يؤتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان ما قبلى مدخل ، فيقال له اجلس ..

فيجلس .. قد مثلت له الشمس وأخذت للغروب .. فيقال له : هذا الرجل الذى كان فيكم ما تقول فيه ؟ وماذا تشهد به عليه ؟ فيقول : دعونى أصلى . . فيقولان : إنك ستصلى أخبرنا عما نسألك عنه ؟ أرأيت هذا الرجل الذى كان فيكم ما تقول فيه : ؟ وما تشهد عليه ؟ فيقول : محمد - ﷺ - أشهد أنه رسول الله جاء بالحق من عند الله ، فيقال له : على ذلك حييت وعلى ذلك مت .. وعلى ذلك تبعث إن شاء الله ، ثم يفتح له باب إلى الجنة ، فيقال له : هذا مقعدك . وما أعد الله لك فيها فيزداد غبطة وسروراً ، ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعاً وينور له فيه ويعاد الجسد لما بدئ منه وتجعل نسمته فى النسم الطيب ، وهى طير معلق فى شجر الجنة » قال : فذلك قول الله تعالى : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) وذكر فى الكافر ضد ذلك إلى أن قال : ثم يضيق عليه فى قبره إلى أن تختلف فيه أضلاعه فتلك المعيشة الضنك التى قال الله تعالى : (فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى) .

وقال الحافظ فى الفتح : ذهب ابن حزم وابن هبيرة إلى أن السؤال يقع على الروح فقط من غير عود إلى الجسد ، وخالفهم الجمهور فقالوا : تعاد الروح إلى الجسد أو بعضه كما ثبت فى الحديث . ولو كان على الروح فقط لم يكن للبدن من ذلك اختصاص ، ولا يمنع من ذلك كون الميت قد تتفرق أجزاؤه ، لأن الله قادر على أن يعيد الحياة إلى جزء من الجسد ، ويقع عليه السؤال ، كما هو قادر على أن يجمع أجزاءه .. والذى يحمل القائلين بأن السؤال يقع على الروح فقط ، هو أن الميت قد يشاهد فى قبره حال المسألة لا أثر فيه من إقعاد ولا غيره ولا ضيق فى قبره ، ولا سعة وكذلك غير المقبور كالمصلوب .

وجوابهم أن ذلك غير ممتنع فى المقدرة ، بل له نظير فى العادة وهو

النائم ، فإنه يجد لذة وألماً لا يدركه جليسه بل اليقظان قد يجد لذة وألماً لما يسمعه أو يفكر فيه ولا يدرك ذلك جليسه .. وإنما أتى الغلط من قياس الغائب على الشاهد وأحوال ما بعد الموت على ما قبله ، والظاهر أن الله تعالى صرف أبصار العباد وأسماعهم عن مشاهدة ذلك وستره عنهم إبقاء عليهم لئلا يتدافنوا ، وليست للجوارح الدنيوية قدرة على إدراك أمور الملكوت إلا من شاء الله . وقد ثبتت الأحاديث بما ذهب إليه الجمهور كقوله : « إنه ليسمع خفق نعالهم » وقوله « تختلف أضلاعه لضمة القبر » وقوله : « يسمع صوته إذا ضربه بالمطراق » وقوله : « يضرب بين أذنيه » . وقوله : « فيقعدانه » ، وكل ذلك من صفات الأجساد .

مستقر الأرواح

عقد ابن القيم فصلاً ذكر فيه أقوال العلماء فى مستقر الأرواح ، ثم ذكر القول الراجح فقال : « الأرواح متفاوتة فى مستقرها فى البرزخ أعظم التفاوت » .

– فمنها أرواح فى أعلى عليين فى الملأ الأعلى ، وهى أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .. وهم متفاوتون فى منازلهم .. كما رآهم النبى ﷺ ، ليلة الإسراء .

ومنها : أرواح فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت . وهى أرواح بعض الشهداء لا جميعهم ، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه أو غيره ، كما فى المسند عن محمد بن عبد الله ابن جحش : « أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ ، فقال يا رسول الله ، ما لى إن

قتلت فى سبيل الله ؟ قال : الجنة . فلما ولّى قال : إلا الدَّين سارنى به جبريل آنفاً » .

– ومنهم من يكون محبوساً على باب الجنة ، كما فى الحديث : « رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة » .

ومنهم من يكون محبوساً فى قبره كحديث صاحب الشملة التى غلّها « سرقها من الغنيمة قبل القسمة » .

ثم استشهد فقال الناس هنيئاً له الجنة . فقال النبى ﷺ : « والذى نفسى بيده إن الشملة التى غلها لتشتعل عليه ناراً فى قبره » .

– ومنهم من يكون مقره باب الجنة ، كما فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما : « الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية » .

وهذا بخلاف جعفر بن أبى طالب حيث أبدله الله عن يديه جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء .

– ومنهم من يكون محبوسا فى الأرض لم تعل روحه إلى الملأ الأعلى ، فإنها كانت روحاً سفلية أرضية فإن الأنفس الأرضية لا تجامع الأنفس السماوية ، كما لا تجامعها فى الدنيا، والنفس التى لم تكتسب فى الدنيا معرفة ربّها ومحبته وذكره والتقرب إليه والأنس به ، تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية المناسبة لها فالمرء مع من أحب فى البرزخ ، ويوم القيامة . والله تعالى يزوج النفوس بعضها ببعض فى البرزخ ويوم المعاد – ويجعل روحه (يعنى المؤمن) مع النسم الطيب (يعنى الأرواح الطيبة المشاكلة لروحه) فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها وإخوانها وأصحاب عملها فتكون معهم هناك .

ومنها أرواح تكون فى تنور الزوانى والزناة ، وأرواح فى نهر الدم تلتقم الحجارة وتسبح فيه . فليس للأرواح شقيها وسعيدها مستقر واحد ، بل روح فى أعلى عليين وروح أرضية سفلية . لا تصعد عن الأرض .

وأنت إذا تأملت السنن والآثار فى هذا الباب .. وكان لك بها فضل اعتناء عرفت حجة ذلك .. ولا تظن أن بين الآثار الصحيحة فى هذا الباب تعارضاً فإنها كلها حق يصدق بعضها بعضاً ، لكن الشأن فى فهمها ومعرفة النفس وأحكامها .. وأن لها شأناً غير شأن البدن .

وأنها مع كونها فى الجنة فهى فى السماء ، وتتصل بفناء القبر والبدن فيه .. وهى أسرع شىء حركة وانتقالاً وصعوداً وهبوطاً ، وأنها تنقسم إلى مرسلة ومحبوسة وعلوية وسفلية ، ولها بعد المفارقة صحة ومرض ولذة ونعيم وألم أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير ، فهنالك الحبس والألم والعذاب والمرض والحسرة .. وهناك اللذة والراحة والنعيم والإطلاق وما أشبه حالها فى هذا البدن بحال الطفل فى بطن أمه .. حالتها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن فى هذه الدار فلهذه الأنفس أربع دور : كل دار أعظم من التى قبلها :

الدار الأولى : فى بطن الأم .. وذلك الحصر والضيق والغم والظلمات الثلاث .

الدار الثانية : هى الدار التى نشأت فيها وألفت واكتسبت فيها الخير والشر وأسباب السعادة والشقاوة .

الدار الثالثة : دار البرزخ .. وهى أوسع من هذه الدار وأعظم بل نسبتها إليها كنسبة هذه الدار إلى الأولى .

الدار الرابعة : دار القرار .. وهى الجنة والنار فلا دار بعدها .

والله ينقلها فى هذه الدور طبقاً بعد طبق ، حتى يبلغها الدار التى لا يصلح لها غيرها ولا يليق سواها ، وهى التى خلقت لها وهيئت للعمل الموصل لها إليها .. ولها فى كل دار من هذه الدور حكم وشأن غير شأن الدار الأخرى ، فتبارك الله فاطرها ومنشئها ومميتها ومحييها ومسعدها ومشقيها .

obeikandl.com